الأمن الفكري ومشروعات خدمة المجتمع

"مدخل لمواجهة العنف بين شباب الجامعة"

إعداد

أ. د منصور أحمد عبد المنعم

أستاذ التربية المتفرغ

إن ظاهرة العنف والإرهاب تحدث في كل المجتمعات بمختلف حضاراتها وبمختلف تنوع شعوبها، وهي ظاهرة ملازمة منذ وجود الإنسان على وجه الأرض.

وقد ساعدت عوامل مثل ارتفاع نسبة الأمية في المجتمع المصري وضعف المستوي الاقتصادي وما ترتب عليه من ضغوط نفسية واجتماعية، إلى تمكن بعض الجماعات الإرهابية والتي تسمي نفسها بالجماعة الإسلامية من التأثير على أفكار قلة من شباب الجامعات والمدارس والذين يتعرض بعضهم لإهمال الرعاية والرقابة الوالدية والأسرية.

ويعتبر العنف – بكل أنواعه وأنماطه – ظاهرة اجتماعية سلبية وسلوكاً إجرامياً خطيراً قد يتطور ويصبح مشكلة تهدد أمن المجتمع واستقراره، ويختلف حجم العنف والإرهاب من مجتمع لآخر وفق ما يحدث لهذا المجتمع من تغير في البناء الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

ويبدو أن عنف قلة من شباب الجامعات والمدارس يعتبر ناقوس خطر للمفكرين والتربويين وصناع القرار والمسئولين عن سياسات التعليم الجامعي وخطط، فهذه الظاهرة تلقي الضوء على طبيعة العلاقة بين الطلاب بعضهم البعض من جهة وبينهم وبين أعضاء هيئة التدريس ومجتمع الجامعة برمته، هذه العلاقة لا تخلو من تعقيدات ترتبط بثقافة المجتمع ومجموعة القيم المعنوية والأخلاقية التي تسود مجتمع الجامعة.

والحقيقة أن الجامعة قد شابها مثل غيرها من مؤسسات المجتمع المصري من تخريب وفساد خلال الفترة من 1990 حتى 2013 يعد تشويه النسيج الاجتماعي والقيمي وبنى القيم الثقافية والأكاديمية فيها.

إن العهد السياسي السيئ الذي امتد لأكثر من عشرين عام مضت، كان من الفظاعة بحيث أحدث تشوهات في مؤسسات المجتمع بما فيها الجامعة وتقصي أحداث التغير الذي يواجه المجتمع المصري إلى ثورة حقيقية في التعليم عامة، والتعليم الجامعي على نحو خاص.

من جانب آخر لم يعد خافياً على أحد الأوضاع الثورية في المنطقة العربية ووجود تدخلات خارجية واتباع بعض الحكومات العربية ومنها مصر سياسات تتسم ببطء اتخاذ القرار واللين أحياناً، بحيث يعتقد أن هذا شجع على استشراء نزعات الإجرام والبلطجة.

ومع زيادة نشاط الجماعات الإسلامية وأصحاب المصالح من فلول النظام المستبد البائد، بالغ بعض الشباب في استعمال المظاهرات والاحتجاجات كوسيلة للضغط مما ساعد على إثارة صراعات وأحداث فتن من شأنها أن تؤثر على استقرار البلاد، وأمنها وأمن الأفراد أنفسهم.

وحاولت مصر اتخاذ خطوات لتحقيق الاستقرار وذلك من خلال إقرار الدستور ومن بعده الانتخابات الرئاسية ثم الانتخابات البرلمانية فيمكن أن نقول أنها انتقلت من مرحلة السيولة إلى مرحلة الاستقرار رغم وجود قوي وتحديات خارجية لمخطط أمريكي وضع أواخر تسعينات القرن العشرين لإنشاء شرق أوسط جديد واستخدمت الجماعة الإسلامية وبعض القوي الإرهابية من الخارجين عن القانون والمعتقلين السياسيين كأداة للمساعدة في تنفيذه.

وما حدث مؤخراً من انتقال ظاهرة العنف والإرهاب في المجتمع المصري إلى الجامعات عن طريق قلة من الطلاب والعاملين في الجامعة الذين لهم علاقة بالجماعة التي تطلق على نفسها جماعة الإخوان المسلمين يمثل هذا ناقوس خطر وإنذار والمطلوب مراجعة البرامج الجامعية والمخرجات المسلكية، والثقافية، والاجتماعية.

وقد تولد لدي كاتب هذه الورقة البحثية دافع شخصي كوني مواطن مصري يغار على بلده ووطنه ويستشعر خطر العنف والإرهاب من أن يتفشى وينتقل إلى الحرم الجامعي أرفع مؤسسة تعليمية وثقافية وحضارية في جميع دول العالم وليس في مصر فقط، ودافع موضوعي وهو مناسبة المؤتمر المزمع عقده بكلية التربية جامعة الزقازيق ومن ثم كانت هذه الورقة البحثية.

مما سبق فإن هذه الورقة تحاول الإجابة عن بعض التساؤلات:

- إلي أي مدى تضطلع برامج الجامعة بإرساء الأمن الفكري لدي طلابها.
- ما دور الإرشاد النفسي الجماعي في علاج سلوك العنف في الجامعة.
- كيف تصبح برامج خدمة المجتمع في الجامعة وسيلة لمواجهة العنف لدي الشباب الجامعي؟
- ما التوصيات والمقترحات في هذا الشأن.

المناهج الجامعية وإرساء الأمن الفكري:

لا يخفي على أحد منا أهمية الأمن الفكري ودوره في الأمن الوطني للمجتمع، وكذلك دور المناهج في العلوم الإنسانية ومنها التربية، ويقصد بالأمن الفكري سلامة الفكر في اختياراته ومواقفه في الحياة نتيجة بناء عقلي وقيمي سليم وهو أحد الأدوار التي ينبغي على الجامعات المصرية أن تضطلع بها خاصة بعد ثورتي 25 يناير 2011 و30 يونيو 2013 في ظل انتشار ظاهرة العنف بين الشباب وضرورة تحصينهم من الأفكار المنحرفة التي تهددهم أنفسهم، وتهدد المجتمع.

ولذلك يُقترح في هذا البعد أهمية توافر المفاهيم الأمنية في المقررات الجامعية وبصفة خاصة التربوية والنفسية والإنسانية ومن خلال الأنشطة الطلابية وذلك لتحصين الطلاب ذاتياً والعمل على بناء شخصية متوازنة لمواجهة الانحرافات والجرائم واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب، ولا شك أن هناك قصور في المقررات الجامعية وأساليب التدريس كأحد الأسباب في زيادة مشكلات العنف والإرهاب داخل مؤسسة الجامعة.

فالمناهج الصريحة المعلنة تقف عاجزة عن تقديم الخبرات التربوية التعليمية المتكاملة للشباب اقتصر دورها على تقديم الجانب المعرفي الذي يهتم بالمعلومات المجردة التي تقدم بهدف الحفظ والسرد وعدم الاهتمام بالمضامين التربوية المتعلقة بهذه المعلومات خصوصاً ما يتعلق منها بتعزيز القيم الدينية والخلقية والاجتماعية والبيئية والوطنية والأمنية، مما يستوجب عملية إصلاح للبرامج الجامعية.

قد يتحقق هذا الإصلاح – جنباً إلى جنب مع المنهج الخفي أو المستتر– عن طريق الخبرات التربوية المصاحبة أي (المنهج الخفي أو المستتر) الذي طال اغفاله، والذي له آثار وعلاقة بسلوك الشباب الجامعي والذي يمكن من خلاله مواجهة كثير من التحديات المستحدثة في الجامعات المصرية.

والحقيقة أن الطالب الجامعي يمكن أن يتعلم من المنهج الخفي (اي من البيئة الجامعية) ما يفوق بكثير تعلمه من المنهج الصريح أو المعلن، ويتجلى المنهج الخفي أو المستتر في الجامعة من خلال الأنشطة الطلابية الاجتماعية، والثقافية، والفنية، وما يسمي بنظام الأسر، وكذلك من خلال أسلوب وتصرفات المعلم الجامعي داخل قاعات الدرس وخارجها.

ويري كاتب هذه الورقة أهمية القضاء على ظاهرة بيع المذكرات الجامعية وإعادة المكانة المحترمة للأستاذ الجامعي برفع دخله ليتساوى أو يزيد عما هو متبع في النظام القضائي ليتفرغ لرسالته النبيلة في التعليم وغرس القيم وبناء الشخصية المتوازنة فينصلح حال الطالب الجامعي ومن ثم المجتمع كله.

وفي إطار تطوير المناهج والبرامج، فإنه يمكن التخطيط لإضافة مادة الأمن الفكري والتي يمكن تدريسها من خلال مدخل مستقل بحيث يفرد لها مادة خاصة في الكليات العلمية والإنسانية مثل مادة حقوق الإنسان، أو من خلال مدخل الأنشطة من خلال النشاط الطلابي الجامعي أو من خلال المدخل الاندماجي ومن خلال المنهج المستتر خصوصاً في مناهج التربية الإسلامية ومناهج اللغة العربية والأدب ومناهج العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية.

ولعل حوادث العنف الأخيرة في بعض المجتمعات العربية ومنها مصر والتي تتبناها جماعات ما هو إلا نتاج الاختلال في الأمن الفكري لدي تلك الجماعات، وبعض من يؤيدها، أو يتعاطف معها.

أهمية الإرشاد النفسي الجماعي لطلاب الجامعات:

يأتي الطالب الجامعي من أسرة ويعود إلى الأسرة ومعظم خبراته تحدث في مواقف اجتماعية، ويأتي دور الأستاذ الجامعي في إرشاد طلابه الذين تتشابه مشكلاتهم الأكاديمية أو النفسية أو يعانون من اضطرابات ويعتبر الإرشاد الجماعي عملية تربوية وهو طريقة المستقبل في مواجهة ظاهرة العنف في السلوك لدي بعض طلاب الجامعات.

وتتحكم بعض الضغوط الاجتماعية لدي بعض الأسر التي تعجز عن مواجهة متطلبات الحياة الاقتصادية فيلجأ بعض أبناءها من الشباب في الانصياع لنداءات وتأثيرات الجماعات الإرهابية الضالة، سعيا وراء المال.

وهؤلاء القلة من طلاب الجامعات الذين يمارسون سلوك العنف في حاجة إلى الإرشاد الجماعي بحيث يعودوا للانخراط في المجتمع الجامعي الذي يتسم معظمه بالاستقرار ولديه هدف أكاديمي يسعي للوصول إليه وتحقيقه.

وتسعى بعض الجماعات الإرهابية إلى تسخير قواها وإمكاناتها لإشعار قلة من الطلاب الذين يفتقدون الأمن الفكري بأنهم ليسوا بمفردهم فيزودوهم بالمال ويؤثروا في أفكارهم ويقنعوهم بأن ما يفعلوه من سلوك إرهابي وعنيف سيحقق لهم التنفيس، والتفريغ، والتطهير الانفعالي، ومن يموت منهم فهو في عداد الشهداء. وتستخدم هذه الجماعات وسائل للضغط على قلة من الشباب الجامعي لمسايرة أوامرهم وتعليماتهم وعدم مغايرتها.

وعلى كليات التربية مسئولية الإرشاد الجماعي للطلاب في أثناء فترة التربية العملية بالمدارس ومن خلال تفعيل دور مراكز الإرشاد النفسي والعيادات النفسية.

التعليم من خلال خدمة المجتمع:

تهدف فكرة التعلم من خلال خدمة المجتمع إلى إشراك عدد كبير من الشباب في الجامعات المصرية تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس في العمل الجماعي في إطار علمي والتواصل الفعال، والتفكير الواعي، والنقد الهادف لحل قضايا ومشكلات تواجه المجتمع وخصوصاً ما يتعلق منها بسوق العمل والإعداد للحياة العملية والقيادة والريادة، فالشباب فيه خير كثير ولكن يحتاج للقدوة والرمز.

إن فكرة التعلم من خلال خدمة المجتمع شكل من أشكال التربية والتعليم التجريبي يمارس فيها الطالب الجامعي العمل ضمن فريق وتطبيق مفردات المنهج الدراسي في حل مشكلات مجتمعية بيئية وهذا المدخل يمكن اعتباره نافذة للتواصل بين الحياة الأكاديمية والحياة العملية الحقيقية.

يهتم هذا المدخل بالقضايا البحثية المحددة وتلك التي تتميز بالطابع التطبيقي والمشروعات الطلابية، ويمكن أن تصبح الأعمال الفصلية للمقررات الدراسية الجامعية عبارة عن مشروعات محددة ترتبط بمقرر دراسي موجود بالفعل وتتطلب متابعة وإرشاد من عضو هيئة التدريس ويمكن البدء بتنفيذ الفكرة مع طلاب الدراسات العليا بالدبلومات ثم مرحلة لاحقة مع طلاب مرحلة البكالوريوس والليسانس والذي يجعل التعلم من خلال خدمة المجتمع مبادرة جديدة كونها استراتيجية تعليم وتعلم تدمج معني خدمة المجتمع مع التعليم.

وقد طور كل من وليام جيمس وجون ديوي الأسس الفكرية للتعلم من خلال خدمة المجتمع منذ عام 1905 وامتدت الفكرة إلى أن وصلت إلى إنشاء شبكة تعلم من خلال خدمة المجتمع على الإنترنت في الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة كولورادو عام 1995 ثم في عام ١٩٩٧ تم اعلان المسئولية المدنية للتعليم الجامعي، ثم في عام ٢٠٠١ عقد المؤتمر الدولي الأول في التعليم من خلال خدمة المجتمع والبحث العلمي وفي عام ٢٠٠٣ دعمت الخدمة والمشاركة المدنية وإلهام الآخرين بالانخراط في الخدمة التطوعية في الجامعات الأمريكية.

وتوصي هذه الورقة البحثية بتخصيص عدد من الساعات للعمل التطوعي داخل لوائح الكليات الجامعية.

ويمكن توسع تعاون الجامعات مع الجهات الحكومية مثل وزارة التنمية الإدارية ووزارة التضامن الاجتماعي ووزارات أخرى مسئولة عن العمل في مصر ومساهمة القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني.

والعناصر المهمة لتلك المبادرة تتحدد في الآتي:

1. **البحث والتحري**:

أي تحديد أولويات المجتمع المحلي واحتياجاته بحيث تمكن الطلاب وأعضاء هيئة التدريس من الحصول على المعلومات وتحليلها وتحديد أنواع المشاريع والخدمات التي تعود بالنفع على الجامعة والمجتمع المحلي والطلاب، ويمكن أن يتم ذلك من خلال المقابلات مع قادة الإقليم، أو الدراسات الاستقصائية، أو التقنيات الجغرافية، أو البحث على الإنترنت.

2. **الإعداد**:

ونقصد به الإعداد للتعلم وتخطيط المناهج الدراسية، والإعداد للخدمة بتوفير التدريب.

ومعالجة القضايا اللوجستية، والإعداد للتطور أي مساعدة الطلاب- على استكشاف المشكلة التي قد تنشأ من هذا المشروع.

3. **التنفيذ**:

جودة العمل تعتمد على التخطيط والتنفيذ بدقة.

4. **الأثر**:

أي المنفعة التي تعود على القائمين على مبادرة خدمة المجتمع أو قد نسميها سواعد العمل.

5. **العمل**:

أي مرحلة تقديم خدمة ذات هدف للمجتمع المحلي في إطار الجامعة. وفي هذه المرحلة تترجم القضايا الاجتماعية إلى أفعال.

6. **الانعكاس**:

أي مدى انعكاس الفائدة المرجوة من المبادرة والتي يمكن قياسها من خلال المعيار التالي:

ما الذي يفكرون فيه؟

ما الذي يشعرون به؟

ماذا سوف يفعلون؟

7. **النتائج**:

لا ينغي التحدث فقط عن المشاعر الناتجة عن التجربة ولكن أن يشمل هذا أيضا التفكير والتحليل والتفسير، ودفع الطلاب لمشاهدة التجربة في سياق أوسع من البيئة المحلية.

ويمكن استخدام نموذج تقييم للطالب وآخر لعضو هيئة التدريس لتقييم أداء كل منهما خلال هذه المرحلة.

8. **الاحتفاء والتكريم**:

إعطاء الفرصة لكل من الأطراف لتبادل الشكر لنجاح المبادرة وتعزيز التجربة بكتابة ملاحظات شخصية للطلاب المشاركين.

9. **الاستمرارية**:

أن يكون لهدف ولغاية الاستمرارية لأثر هذا التعلم.

ومن معايير الجودة في مبادرة خدمة المجتمع (سواعد العمل):

- **صوت الطلاب**: حيث توفر هذه التجربة فرصة ليكون للطلاب صوت وليتعلموا مهارات القيادة والتخطيط ووضع القرار علاوة على قرارات المشاركة المدنية.
- **خدمة ذات هدف**: تكون مبادرة سواعد العمل هادفة وتكون نتائجها يمكن بلوغها وذات قيمة للطلاب.
- ربط الخدمة بالمناهج الجامعية.
- **الانعكاس**: أي انعكاس العمل على مواجهة الطلاب لتحديات المجتمع المعقد.
- **التنوع**: أي التجربة تعزز التفاهم والتنوع والاحترام المتبادل بين الطلاب المشاركين وأعضاء هيئة التدريس.

- **العلاقات التبادلية**: فالتجربة تشكل شراكات مع الطلاب وأعضاء هيئة التدريس وأفراد المجتمع المحلي والمنافع المتبادلة.
- **التقييم والمتابعة**: فالتجربة تحتاج الشفافية والوضوح لضمان الجودة والاستمرارية، ويكون التقييم (تقييم تكويني – تقييم تلخيصي).
- وبحيث يحدد الغرض من التقييم وما الذي سوف يتم تقييمه.
- تحديد زمن للتجربة خلال الفصل الدراسي.

ومن المشروعات المقترحة التي يمكن أن يقوم بها طلاب الجامعة للتغلب على ظاهرة العنف لدي قلة منهم.

- برامج تطوعية لتعليم التلاميذ في فترة الإجازة الصيفية.
- قيام الطلاب بتوزيع استبيانات عن الهن المتوفرة في مجتمع الإقليم (إقليم المحافظة التي تقع الجامعة فيه).

ويمكن في هذا الإطار توقيع اتفاقيات أو مذكرات تفاهم وتعاون الجامعة والمؤسسات المجتمعية (حكومية – قطاع خاص – مجتمع مدني)، وتجريب الفكرة باختيار عدد من أعضاء هيئة التدريس لتنفيذها مع بعض الطلاب. واستلام تقرير نهائي على شكل ملخص تنفيذي عن التجربة من أستاذ المادة وعرضه على المجلس العلمي بالكلية لاتخاذ القرارات المناسبة.

وعلى أن يقوم عضو هيئة التدريس بتزويد إدارة الكلية بسيرة ذاتية له والخطة الدراسية للمادة (المقر) وتعريف الجهة التي سيتم التعاون معها وملخص عن المشكلة المرغوب معالجتها مع الطلاب، وقائمة بأسماء وعناوين الطلاب المشاركين في المبادرة. وعلى أن تقدم التجربة في شكل مشروع مكتوب يسلم للكلية.

خاتمة:

إن مشروعات خدمة المجتمع في الجامعات المصرية محاولة لإدماج فئات من الطلاب ضعاف النفوس الذين تستقطبهم بعض الجماعات، وتعدهم لإحداث فوضى في المجتمع وبعض الجهات الدولية التي تسعى لشل قدرة مصر ومن ثم تنفيذ مخطط خريطة الشرق الأوسط الجديد التي خططت أمريكا ودول الغرب الأوروبي له واتخذوا من أنقرة قاعدة إقليمية لتسهيل تنفيذ المخطط.

أما فيما يتعلق بعنف قلة من شباب الجامعات فاقتراح علاج ذلك قد يتحقق من خلال وسائل أخرى – غير ما سبق ذكره – بمحاربة الغش في الجامعات وعلاج تدني البحث العلمي المؤسسي واهتزاز القيم الجامعية في نفوس قلة من أعضاء هيئة التدريس. يتأتى العلاج في التركيز على جوانب الخير في نفوس الشباب ومحاولة جعلهم ينخرطون في مشروعات مجتمعية مفيدة، ووجود الرمز أمامهم والقدوة بعد أن فقدوا الثقة في كثير من هذه الرموز المجتمعية.

ويتأتى العلاج أيضاً في التفكير في آلية لاختيار القيادات الجامعية بعيدا عن النظام السابق الذي كان يقوم على تعيين أصحاب الوساطة والمحسوبية والرشوة والفساد وبعيدا عن نظام الانتخابات الذي طاله الخلل لعدم وجود ثقافة انتخابية في بيئات الجامعات المصرية رغم وضع قواعد لائحية له، ولذلك أري ضرورة البحث عن آلية جديدة غير التعيين ونظام الانتخاب يضعها المجلس الأعلى للجامعات، وفقهاء من أساتذة الجامعات مثل نظام التدوير بين الأساتذة ويستثنى منصب رئيس الجامعة فيظل بنظام التعيين من رئيس الجمهورية.

يتأتى العلاج من البعد عن الشعارات الجوفاء من بعض وسائل الإعلام والفضائيات ومحاولة المحافظة على صورة مصر أمام الآخرين. وكفانا تقسيم الناس إلى وطني وغير وطني، ثوري وغير ثوري، وأن تعمل على التشارك وتقدير الاختلاف.

المراجع

- حامد عبد السلام زهران: التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، ط 4، 2005.
- فهد بن علي الطيارة: إذاء الأطفال في الأسرة السعودية، عوامله، وآثاره، ط 1، ٢٠١٠.
- فهد سلطان السلطان: اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي، رسالة الخليج العربي،٢٠٠٩ م.
- أبو بكر الطيب كافي: دور المناهج التعليمية في إرساء الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، ١٤٣٠هـ.
- شئون عربية، العدد 146، صيف ٢٠١١.
- Service-learning Programs, CAS., Standards and Guidlines, April2005.